الاخلاقيات والاخلاقيات الطبية
في الحضارات القديمة والحضارة العربية الاسلامية

د. رضي جواد باقر محمد البياتي

rajab_552002@yahoo.com

رئيس أطباء أخصائيين انف اذن وحنجرة/ بغداد

الملخص:-

تم في هذا البحث دراسة الاخلاقيات الطبية مسبوقة بدراسة الاخلاقيات وذلك لكونها الاساس الفكري الفلسفي الذي تنبع منه اساسيات الاخلاقيات الطبية. تم اجراء عرض لشذرات مهمة من تاريخ الاخلاقيات وفلسفاتها ضمن عصور الحضارات الإنسانية والتأكيد على الاهمية الكبرى للإسلام والعقائد الفكرية الاسلامية في ترسيخ مفاهيم اصيلة عالية ورفيعة في انسانيتها ، ثم انتقل البحث الى الاخلاقيات الطبية في استعراض تاريخي على مدى العصور الحضارية وكذلك تم التركيز على اساسياتها فكرياً وعملياً في عصر الحضارة الاسلامية العربية ، وطبعا التأكيد على ما أرسته العقيدة الاسلامية من اساسيات راقية في الاخلاقيات الطبية وكذلك تم البحث في اخلاقيات الطبيب في عمله وبكل الجوانب لم يغفل البحث عن التنويه بفشل الفلسفات الاخلاقية الحديثة في ارساء قواعد رصينة للأخلاقيات الطبية.

الكلمات المفتاحية: : الاخلاقيات، الحضارة، الطب

Ethics and Medical Ethics in Ancient Civilizations and Arab-Islamic Civilization

Dr. Radhi Jawad Baqir Muhammad al-Bayati
rajab_552002@yahoo.com
Chief Otorhinolaryngologist

Abstract

This research is directed to study the medical ethics but it was to start with summarised history of Ehics its philosophies and principles on a basic phenomenon that general ethics is the base of medical ethics. It was followed through all human civilisations and to concentrate on Islamic principles during the Islamic Arabic civilisation. After that the medical ethics was also followed historically and with concentration on the Islam religion principles important role in all aspects of medical practice and health system both as prinicples and practice.

Keywords: **ethics, civilization, medicine**

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدَّمة

موضوع الأخلاقيات عموماً والأخلاقيات الطبية بالخصوص كان موضع اهتمام كبير من قبل الفلاسفة والمفكرين والأطباء على مدى الحضارات الإنسانية وكانت للعقائد الدينية وبالخصوص السماوية وبالدقة والتحديد الدين الإسلامي الحنيف الأثر الأكبر في إرساء الأسس الفكرية والتعامل الإنساني للممارسة الطبية.

وللأعراف العامَّة للشعوب دورها أيضاً بهذا الموضوع كما أنَّ للقوانين التي تسنها الانظمة في مجمل الحضارات الإنسانية أيضاً لها دور في دعم الاسس الاخلاقية.

في هذا البحث تمَّ إلقاء الضوء على الأخلاقيات وفلسفتها تاريخياً وفي العقائد الدينية وهذا مما لابد منه في أي دراسة للأخلاقيات الطبية ولا يمكن فصلها عن فلسفة الاخلاقيات عموماً فهي متصلة معها فكراً وممارسة.

وقد تم التعريف بالطب والعمل الطبي وأهمية الاخلاقيات في ممارسة الطب وفي العلوم الطبية واستعراض عام للأخلاقيات الطبية في الحضارات الاسلامية والاديان.

اولاً: تعريف الطب والاخلاق:

تعريف الطب:

علم ومهنة ذو ابعاد ثقافية وعلمية واخلاقية وفلسفة عميقة ، فهو يعني بمعرفة حقيقة الانسان بروحه (مشاعره وغرائزه ونواياه) وجسمه بصحته ومرضه وما يحدث فيه من تغيرات ظاهرة وباطنة ، وما هو الطبيعي والغير طبيعي في هذه التغيرات ، وكان الاطباء قديماً هم الفلاسفة والحكماء .

ولقد عرف ابن سينا الطب: هو علمٌ يعرف منه احوال بدن الانسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة[1]

ومن أقدم العصور الى اليوم يعتبر الطب مهنة سامية وعمل شريف لما له من مساس بحياة الناس وأرواحهم وشرفهم .

وممارسة الطب لا تتم الا ان تصان بالأخلاق ، فان الله الخالق كرم الإنسان بالعقل وخير ما يستخدم به العقل هو الايمان بالله والعلم ، ولا ايمان وعمل صالح دون حسن الخلق كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الذي ارسل بشيراً ونذيراً وهادياً للإيمان بالله: **((إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق))**

[1]() مازن صباح مصباح ، أ. نائل محمد يحيى ، دراسة فقيه مقارنة / جامعة الازهر / مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات العدد/2 ص110، 143 يوليو 2011

فكانت الاخلاق هي صفة عقيدة وشريعة الإسلام.

واما العقل والذي يحكم الفكر والممارسة الإنسانية فأن اكرامه يكون بالتمسك بالأخلاق.

الاخلاق وتعريفها:[2]

الاخلاق لغة : في لسان العرب لابن منظور: السجية/ الطبع.

وجاءت في القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم/ آية (4)]

قوله تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة الشعراء/ آية (137)]

ولرسول الله احاديث في الاخلاق: {انَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ}

- (لا عقل كالتدبير، ولا وَرَع كالكفّ، ولا حَسَبَ كحُسْن الخلق)
- {إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، قالوا نعم يا رسول الله أحاسنكم أخلاقاً}
- {اكمل المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً}
- {ما اعطي احدٌ افضل من حسن الخلق}
- {خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق}.

الاخلاق اصطلاحاً:[3] مادام بحثنا يخص الاخلاق الطبية في عصر الحضارة العربية الاسلامية ، فليكن تعريف الاخلاق مما عرّفُه فلاسفة هذا العصر:

الامام ابو حامد حمد الغزالي[4]: عرف الاخلاق ، الخلق: عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجه لفكر ورؤيه ، فأن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت خلقاً سيئاً.

أما الفيلسوف محي الدين بن العربي [5]، فعرّف الاخلاق: حالة للنفس بها يفعل الانسان أفعاله بلا رؤيه ولا اختبار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً ، وفي بعضهم لا يكون الا بالرياضة والاجتهاد ومجاهدة النفس وتقويتها.

القرآن الكريم والاخلاق... [6] قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): ليس في القرآن آية تجمع مكارم الاخلاق كما في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الاعراف/ آية 199]

فالعفو: هو السهل اليسير أي لا ترهق الآخرين بما لا يطيقونه في افعالهم واخلاقهم.

[2]() د. محمد علي البار/ الاخلاق اصولها الدينية وجذورها الفلسفية/ جامعة الملك عبدالعزيز/ جده
[3]() د. بارك زكي/ الاخلاق عند الغزالي/ مطبعة دار الكتاب العربي/ ص414
[4]() محمد الغزالي/خلق المسلم/ ط7
[5]() منصور علي رجب/تأملات في فلسفة الاخلاق/ ط3 -1961/ ص91
[6]() محمد جواد مغنية/ تفسير الكاشف/ ج3/ ص236

والعرف: الخير الواضح المعروف والذي يدركه الانسان بفطرته.

اعرض عن الجاهلية: أي اعرض عمن لا يجدي معه النصح.

وقد يتبادر للأذهان ما علاقة السلوك بالأخلاق وهل هما متلازمان؟

فان تعريف السلوك الإنساني[7]: وهو اعمال الانسان الظاهرة وأن كانت مغايره لما تنطوي عليه سريرته.

أي الاعمال الارادية للإنسان الموجهة نحو غاية معينه مقصودة.

وهو هنا عمل الانسان وليس ما يقوله ويختلف سلوك الانسان حسب ظروفه أو حاله من علم وجهل ، صحة ومرض ، فقر وغنى ، وعليه فالأعمال التي تسمى سلوكاً يجب ان تتركز على قاعدة من الفضائل العامة للأخلاق ، ومع نظرة شمولية انسانيه لكل الآخرين.

وهنا نجد الترابط بين الاخلاق وعمل الطبيب في تعامله مع المريض وفيما يوصي به من رأي وهو نصيحته التي ترتكز عن عقله وحكمته ، وهي مما تعلمه من اساتذته ومن قراءته وما كسبه من خبرة وعلى موهبته وابداعه وكل هذا يصان بالأخلاق الحميدة ، فالأخلاق هي ركن اساسي في فلسفة الطب وفي تطبيقه.

ثانياً: شذرات موجزة من تاريخ فلسفة الاخلاق في الحضارات الانسانية:

من المؤكد ان الاخلاق في مفاهيمها ومبادئها وتطبيقاتها بدأت مع بداية الاديان السماوية وهي التي كان لها الأثر الأكبر في التراث الانساني للأخلاق وبمختلف الشرائع والعقائد.

وعلى سبيل المثال:

شريعة حمورابي (قانون القصاص): وهو قانون مدني يحدد الاخطاء وما توجب من عقوبات فقد وردت فيه فقرات كانت مقتبسه من التوراة نصاً ، مثل فقرة "العين بالعين والسن بالسن"

وبدون أدنى شك فأن الاسلام كان المنهج الكامل لمبادئ الاخلاقية.

وعلى العموم فان أساسيات الاخلاق في عموم المجتمعات الإنسانية وعلى مدى الحضارات الإنسانية تبنى على:

١. الاديان: وما تقره في شرائعها في تحديد الصوب والخطأ.

[7]() تأملات في فلسفة الاخلاق/ مصدر سبق ذكره

٢. الاعراف: وهو ما تعارفت عليه المجتمعات البشرية في تعاملها.

٣. القوانين: وهي مجمل ما ورد في دساتير وقوانين الدول المختلفة.

حضارات وادي الرافدين:

أكد الأغلب من المؤرخين لهذه الفترة أن ابناء الرافدين قد عرفوا الكثير عن الاخلاق العلمية والشـــرائع والقوانين والطبائع والعادات وكانت لهم عواطف حيوية نحو العدالة الاجتماعية والعدالة الفردية ولهم عاداتهم وطبائعهم في تنظيم شؤونهم والتفكير والتمييز بين ما يعتبر خيراً وما يعتبر شراً في الواجبات والصفات.

حضـارة الهند: في المذهب البراهمي (١٢٠٠ - ١٥٠٠ ق.م) وهو من اقدم الاديان في الهند نجد أن المبادئ الاخلاقية والتعاليم تبلغ حد الاعجاب بما يتصـــل باحترام الناس جمعياً وحب الكائنات الحيه والعفو عن المسيء.

ولم يخرج المذهب البوذي الذي جاء تجديداً مكملاً للمذهب البراهمي عن هذه الاخلاقيات

حضارة الصين: سبق الصينيون الشعوب القديمة في استلهام فلسفة الاخلاق والبحث عنها نظرياً وعملياً.

ويعتبر كونفشـــيوس هو مفكرها وحكيمها الأكبر (ولد 551 ق.م) ومما دعا اليه في تعاليمه تقديس الواجب وجعله مقياس لسـلوك الانســان ، ومما قاله كونفوسـيوش: "أنك إذا قدت الناس وفق قوانين اجباريه وهددتهم بالعقاب فقد يحالون اتقاء العقاب ، ولكن لن يكون لديهم الشـعور بالشـرف الاخلاقي ولكنك إذا قدتهم بالفضـيلة ونظمت شـؤونهم بالتربية فأن علاقاتهم ستقوم على اساس من الشرف والاحترام" ، وهذا يبدأ من الأسرة فالمجتمع فالدولة.

حضـارة الفرس: وقد ورد عن زرادشت مفكرهم (القرن السـابع ق.م) تقسيم العالم الى خير ويشـتمل على الفضـيلة والاخلاق وشر ويشـتمل على الرذائل وهو بذلك يجعل الانسـان يسعى لمساعدة الى الخير بسلوكه الحسن للانتصار على اله الشر.

حضارة الاغريق:[8] يعتبر فيثاغورس من الأوائل الذين تبنوا الاخلاق الحميدة والفضيلة مسلكاً لانتصار الروح على الجسد وهو انتصاراً للخير.

وهو عكس ما ظهر بعد ذلك من فلسـفه سـوفطائية دعى اصـحابها للمراوغة والاحتيال لتحقيق انتصار المنفعة الفردية على غيرها من القيم.

أن سقراط (٤٧٠ – 400 ق.م)[9] يمكن اعتباره أول من ثبت الفلسفة على اساس متين وشـاد عليها الفلسـفة الأخلاقية فهو من قال: "أن المرء لا يكون فاضـلاً الا إذا كانت الفضـيلة على علم وعليه فان سقراط يعتبر مؤسس علم الاخلاق.

[8]() موسى محمد يوسف/ تاريخ الاخلاق/ دار الكتاب العربي/ ط3- 1953/ ص47

[9]() تاريخ الاخلاق/ مصدر سبق ذكره/ ص79

اما تلميذه افلاطون :[10] فقد دعا كأستاذه الى العفة والشجاعة وجعل الحكمة ام الفضائل.

ويرى افلاطون أن الفضيلة العليا هي فضيلة العدل.

وقد حمل الرسالة بعده ارسطو وهو المعلم الأول ويرى ارسطو ان السعادة الحقيقيه التي هي مبعث اللذه عند الانسان هي بالتوصل إلى خيرات النفس وذلك بالتأمل والتفكير ، باسمى جزء فينا الا وهو العقل ، والتأمل في الله يجعل الانسان قريب من الله.

واليه ترجع فكرة الفضيلة بين رذيلتين ومنه أخذ الغزالي ، الفارابي وابن سينا هذه الفكرة.

الحضارة الرومانية: اهتم فلاسفة الرومان بتطبيق المبادئ وأهتموا بدراسة السلوك وقواعده والضمير وواجبات الفرد لنفسه وربه والناس اجمع.

ومن فلسفتهم أن "الفضيلة الدائمة سلامة النفس وطمأنينتها ولا يوجد الأشر واحد هو فقدان الشرف والحرية النفسية".

الاخلاقيات في الديانة المسيحية:

اعتمدت الديانة المسيحية على مخاطبة المشاعر والعواطف أكثر من مخاطبة العقل والتفكير، واعتمدت على ما انزله الوحي الالهي لمعرفة الخير والشر في تعريف الاخلاق بدلاً من تحكيم العقل.

وقد تميزت مثل واخلاق الديانة المسيحية عما سبقها من نظم وحضارات وقد ظهر بعض علماء الدين المسيحي مثل توما الأكويني (١٢٢٥م – 1274م) في نابولي والذي حاول الربط بين الديانة المسيحية والفلسفة الاغريقية إذ أنه يرى " أن الاخلاق مزيج من الاخلاق الفلسفية (اخلاق ارسطو) والاخلاق المسيحية التي تنزل من عند الله"

العرب قبل الاسلام:

إن الحضارات السامية التي سادت في وادي الرافدين وفي الشام واليمين كانت تحمل من الاخلاقيات مما قد استنبطوه من شرائعهم ونظم قوانينهم وهي نموذجاً جيداً في الاخلاقيات الاجتماعية والفردية ولقد تركت آثارها في عرب الجزيرة العربية.

ففي الجزيرة العربية قبل الاسلام ظهر حكماء وشعراء اشادوا وشجعوا على الالتزام بالقيم الاخلاقية الحميدة مثل:

- عامر بن الظرب العدواني
- ذو الاصبح العدواني

[10]() تاريخ الاخلاق/ مصدر سبق ذكره/ ص17، 58

- زهير بن ابي سلمى
- اكثم بن صـــيفي: وهو من حكماء العرب ودهائها وفلاســفتها وهو الذي اعجب به كسرى فقال: "لو لم يكن للعرب غيرك لكفى"
- الحارث بن كلده الذي اقحم كسرى في مساجلة عن اخلاقيات العرب قائلاً: "للعرب انفس سـخية ، وقلوب جريه ولغة فصـيحه واحسـاب شـريفه ، اطعموا الطعام في الحرب ، وضاربوا الهام في الحرب ، لا يرام عزمهم ولا يضام جارهم ولا تستباح حريتهم ولا يذل كريمهم".

وفي الحكم والامثال مما يقاس فيه الاخلاق ما ورد عن لقمان الحكيم "الصـــمت حكم وقليل فاعله".

وفي الوفاء فان وفاء السـموأل لدروع امرئ القيس مثلاً رائعًا، وفي الكرم من ذا الذي يباري حاتم الطائي في كرم خلقه.

وفي قصيدة عبد قيس بن خفاف يحث على التمسك بالأخلاق في أشد الظروف:

وإذا تشاجر في فؤادِك مرّةً أمران فاعمدْ للأعَفِّ الأجملِ

فلسفة الاخلاق في عصر الحضارات العربية الإسلامية:

مما لا شك فيه أن مصدر فلسفة الاخلاق في عصر الاسلام وعصر الحضارة العربية الاسـلامية كان كلام الله (سـبحانه وتعالى) في كتابه الحكيم (القرآن الكريم) ، وفيه يأمر الله تعالى خلقه ان يتخلقوا بمكارم الاخلاق ومحامد الخلال والنهي عن المنكر والرذائل والشـــر والبغي والكذب وفيه قد بيّن واجبات الانسان ومسؤوليته نحو شخصه وربه ووالديه وابناءه واقرباءه واصدقاءه وابناء جلدته وكذلك ارضه ووطنه.

ومن اروع ما ذكر سبحانه تعالى على مفردة الاخلاق هو وصفه لرسوله الذي ارسله بشيراً ونذيراً وهادياً وصفه بوصف واحد كانسان

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم/اية (4)]

وهذا الوصـف لم يحض به أي رسـول أو نبي أو بشـر قبله ولا بعده وفيه قد جمع الله تعالى كل المكارم الانسانية في الاخلاق.

أما المصدر الثاني فهو: سنة رسوله في احاديثه وسيرته

ولا عجب أن يقول الرسـول (صـلى الله عليه وآله وسـلم)[11]: {إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق}

[11]() أحمد الهاشمي/ مختار الاحاديث النبوية ؛ د.فينسنك/ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، طبعة لاديك- 1943/ ج1- ص64

وهذا الحديث العظيم يبين أن الاسلام العقيدة الشاملة اساسها هو الاخلاق ، وهذا شيء عظيم وعميق والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل ما كان يصدر عنه من نطق وعمل ووصية وارشاد وهو الذي لا يتكلم عن الهوى اساساً متمم ومكمل وموضح لتعاليم القرآن الكريم وفيه التطبيق العملي لتعاليم الاسلام الاخلاقية.

والامور التي يراها الله ورسوله في تربية النفس في الالتزام بالخلق الاسلامي هي:

١. العدل: كل الناس سواسيه دون تفريق لمصلحة اوامر آخر الناس كلهم امام الله والدين يتساوون وما يرفعهم هو تقواهم ، قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): {يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إلا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}.

٢. الصبر: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): {الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسُ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ؛ أَفْضَلُ مِنَ الْمُؤْمِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ}.

٣. الحلم: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لصحبه: {ما تعدُّونَ فيكمُ الصُّرعةَ ؟ قُلنا : الَّذي لا تصرَعُهُ الرِّجالُ ، قالَ : قالَ لا ولَكِنِ الَّذي يملِكُ نفسَهُ عندَ الغضبِ}.

٤. الاحسان: الله يأمر ويحث على الاحسان:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [سورة النحل/ من الآية 90]

قوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة البقرة/ من الآية 195]

وفي الاسلام ربط الله تعالى عمل الخير (وفيه الاخلاق) بجزاء الآخرة وهو الاساس لكل ما يصدر من الانسان من قول وفعل وهذا يعني أن مكارم الاخلاق هي من صميم عمل وسلوك المسلم ولا تكفي العبارات وحدها ، فالإسلام يرتقي بأخلاقية الانسان ويجعلها واجباً اساسياً مرتبطاً بنهاية الانسان وجزاءه في الآخرة أي أنها من صميم ايمان المسلم ولا تفريط فيها.

وإن كانت الصفات الاخلاقية تقسم الى خير وشر وجمال وقبح ، فقد أكد الاسلام عليها ومثال على ذلك

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [سورة النحل/اية (90)]

وهذه الآية تختصر كل ما يوجه الله به خلقه من العدل في حياته الخاصة والعامة وأن يكون حسن الاخلاق متمم له.

وقد ورددت عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أحاديث متعددة تحث على الالتزام بالخلق الحسن: {خياركم احسنكم اخلاقاً}[12] و{كرم المؤمن دينه ومرؤته عقله وحسبه خلقه}

وفي سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اسوةً حسنةً وهي مثال للخلق الرفيع والتي اذهلت الناس من يومها ولحد الآن والى يوم الآخرة

وهو القائل: { ادبني ربي فأحسن تأديبي}[13]

ولم يألو جهداً آل بيت النبوة (عليهم السلام) واصحابه المنتجين في اتباعه لخلقه في حياتهم ليكونوا المثل الأعلى في الالتزام بما جاء به القرآن الكريم وسنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ما لا تسعه المجلدات الضخام.

فلاسفة الاخلاق في عصر الحضارة العربية الاسلامية:

عندما انبثقت الحضارة العربية الإسلامية كان للفلاسفة المسلمين دوراً رائعاً في فلسفة الاخلاق ومنهم:

١. الكندي (246 هجري)[14]: وقد سمي فيلسوف العرب وقد سعى في كتاباته الى الجمع بين الفلسفة الأغريقية للأخلاق والفكر الاسلامي.

الفارابي (339 هجري)[15]: وهو المعلم الثاني تعلم وعاش في بغداد ثم انتقل الى دمشق ومات ودفن فيها ، ومن بديع ما كتب أن وضع شروطاً لمن يريد أن يتعلم ويعمل بالحكمة (والطب هو من الحكمة):

١. إن يكون شاباً صحيح المزاج
٢. قد تعلم القرآن واللغة وعلوم الشرع
٣. إن يكون غيرمخل بأدب من آداب الشريعة والسنة
٤. إن لا يتخذ علمه الة لكسب الأموال.

ومن كان بخلاف ذلك فهو حكيم زور.

ابن سينا (ت 452 هجري)[16]: وهو الشيخ الرئيسي ابو علي بن سينا وكان طبيباً ، فيلسوفاً ، رياضياً ، فلكياً وشاعراً ، ولقد أهتم بدراسة الاخلاق للفرد والجماعة وله كتب منها:

- رسالة في الاخلاق
- رسالة العهد

[12]() صحيح مسلم /ج4/ كتاب الفضائل / ص191 / دار احياء التراث العربي 1951
[13]() نفس المصدر السابق
[14]() البهي محمد/ الجانب الالهي من التفكير الاسلامي/ ط3- 1962/ ص293
[15]() د. حسين علي محفوظ/ الفارابي للمراجع العربية/ دار الحرية للطباعة- 1957/ ص261
[16]() تيسير شيخ الأرض/ المدخل الى فلسفة ابن سينا/ دار الانوار /ط1- 1967/ ص344

وهو يدعو الانسان ان يسوس نفسه قبل ان يسوس الآخرين وسياسة النفس تكون بالالتزام والمثل الفاضلة ، يرى ابن سينا كما رأى من قبله فلاسفة الاغريق: إن الفضائل والرذائل كثيرة ولكن يمكن جمعها وتصنيفها بحسب القوى النفسانية الثلاث:

الشهوانية – الغضبية - الناطقة

وعندما تتفاعل هذه القوى مع بعضها وتتوازن بصورة صحيحة تنتج عنها الفضيلة العليا وهي (فضيلة العدالة) ، فالفضيلة هي الوسط بين رذيلتين أن نقصت عن حد معين فهي رذيلة مثل (التبذير – الكرم – البخل).

ومن الفصائل:

- الحكمة: وهي فضيلة العلم ، وهو ادراك الاشياء التي من شأن العقل الانساني أن يدركها ولا يلحقه منها خطأ ولا زلل.
- الصدق: أن يوافق المرء منطوق لسانه ومكنون خميره.
- الرحمة: الشعور بالمواساة والرقة عندما يحل مكروه أو ألم بأناس آخرين.
- العفة: ضبط النفس عن الشهوات وقسرها للاكتفاء بما يقيم اود الجسد ويحفظ صحته.
- كتمان السر: مركب من الامان والوقار فإن اخرج السر من فضول الكلام وليس يوقر من تكلم بالفضول ومن استودع سراً فأفشاه إلى غير صاحبه يفقد الأمانة.

وغيرها من صفات الفضيلة (الصبر - العدل – الامانة - الحلم - الوقار - الحياء - الوفاء - الفطنة – البيان - اصالة الرأي - عظم الهمة - الود - سلامة النية) وغيرها كثير.

اما الرذائل: فان الاعتقاد هو انه إذا كانت الفضيلة المركب اليها صعب فان الرذيلة مركبها واطيء وهي اكثر من الفضائل ، الشره: الحرص على اكتساب الاموال والمواد وجمعها، وغيرها: (الوقاحة - التبذل - إفشاء السر – الخيانة - الكذب ...) وغيرها كثير.

ابن مسكويه (٤٠٨ هجري)[17]: وهو المعلم الرابع احمد بن محمد بن يعقوب وأحد الفلاسفة المسلمين ممن اهتموا بالأخلاق وله كتاب قيّم (تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق) ، ويرى ابن مسكويه أن الاخلاق هي الأساس في بناء المجتمع.

ابن الهيثم (345-430 هجري): الطبيب – المهندس – الفيلسوف وله كتاب "تهذيب الاخلاق" ويبدو أنه المؤلف الأصلي لهذا الكتاب ويرد فيه ذكر القوى الثلاث وتعريف جالينوس للأخلاق.

[17]() ابي محمد الرازي/ تاريخ النظريات الاخلاقية وتطبيقاتها العملية/ ط4- 1965/ دار الفكر العربي/ ص20

الامام الغزالي (450 هجري)[18]: ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ، وهو أحد الفلاسفة الذين بحثوا في الفلسفة الاخلاقية وكتب فيها.

ويعتقد أنه من الممكن معالجة الخلق كما هو معالجة المرض وكل نفس يتم علاجها بطريقة خاصة.

ابن رشد (520-595 هجري): الطبيب الفقيه الفيلسوف له كتاب "الاخلاق" وهو كتاب ارسطو الا أنه علق عليه ويؤمن بالفضيلة بين رذيلتين وقوى النفس الثلاث.

ابن ماجه وابن طفيل وهم من الفلاسفة الذين اهتموا بالأخلاق وربطوا العقل بالأخلاق[19]

(وعلم الاخلاق هو تكييف النفس وردها الى ما رسمته الشريعة ، والخلق هو هيئة في النفس راسخة تصدر الأفعال لا ارادياً وتتسم بما فيها من قبح أو حسن).

الاخلاقيات الطبية عبر التاريخ:

وفي استعراض للأسس الاخلاقية بين الطبيب والمريض فأن حجر الاساس في تكوين العلاقة الجيدة بين الطبيب ومريضه ينحصر في اكتساب ثقة ذلك المريض له وهذا الشيء لا يأتي بسهولة ويمكن أن يفقد بسرعه فائقة ، والشفاء لا يرد دائماً في دساتير الطب من اقدم الأزمنة ولحد الآن لأن الشفاء لا يمكن أن يتم الا في القلة من الحالات المرضية وخاصة في الامراض الجرثومية وبعض المشاكل الجراحية التي تحل بالعمليات الجراحية ولكن ليس الكل لا يوجد علاج نوعي لمسبباتها.

وعلم الاخلاق الطبية يهيئ الطبيب للتعرف على المواقف المختلفة التي يواجهها في عمله وكيفية التعامل معها بتعقل ومبدئه ، وكذلك مع اساتذته وزملائه ومساعديه والمجتمع على العموم ، والمنهج الاخلاقي في الطب يحقق اعتبارات عبر التعامل الاخلاقي مستنده الى أهداف ساميه:

١. الرحمة والشعور بإحساس الآخرين على اساس انساني أولاً وكمريض ثانياً.
٢. كفاءة الطبيب بالدراسة والتدريب واستمرارية التعلم.
٣. الاستقلالية الذاتية في احترام رأي المريض وارادته وتقبله للعلاج بعد الإيضاح ثم أخذ موافقته.

الاهداف التي يبتغيها الطبيب في عمله:

١. الحفاظ على الحياة
٢. شفاء المريض والسعي للوصول الى تحسن حالته

[18]() محمد الغزالي/ خلق المسلم/ دار الكاب الحديثة/ 1962
[19]() ابو بكر بكري/ تاريخ النظريات الاخلاقية/ ط4

٣. القضاء على الالم

٤. جلب الراحة والطمأنينة النفسية للمريض

٥. وقاية المجتمع

٦. تعليم وتثقيف المريض

لقد كانت العلاقة بين الطبيب والمريض في السابق اشد رسوخاً ، علاقات شخصيه وروابط اجتماعية وقد تكون روحيه ، وتكاد الثقه تكون مطلقه بينها ، والسبب ربما ندرة الأطباء وكثرة المرضى والآفات والحروب مما ادى الى رفع منزلة الطب والأطباء.

يضاف الى شعور الأطباء الكامل بتحمل مسؤولية مرضاهم واعطائهم وقتاً كافياً واهتماماً زائداً واصغاءً جدياً وخبرة عملية كبيره.

وأيضاً قلة المعلومات الطبية وعدم توفر الأجهزة المساعدة لتشخيص الأمراض جعل التأثير الشخصي والعلاقة القوية بينهما هي اساس العلاج الناجح.

بقيت مهنة الطب محتفظة بتقاليدها العريقة والتمسك أو على الأقل الاعتراف بما يسمى بالخلق المهني الى حد كبير فلا يزال الطبيب يلقي اهتماماً خاصاً في اغلب المؤسسات الصحية وضمن اكثر المجتمعات في العالم وهذه نعمة كبيرة يمتاز بها الطبيب عن غيره وعليه أن يبذل كل جهد لاستمرارها.

"ملاحظة: للأسف أن انهيار النظم الأخلاقية التي تسود العالم والجهل والسعي نحو تحقيق الفوائد والارباح الذي احاط لدى معظم الشعوب وبمهنة الطب أساء لهذا الاحترام للمهنة وعرّضها للكثير من الإساءات "

إن الاخلاقية الطبية هي الاساس في مهنة الطب ومركز هذه الأخلاقية يمكن في تعامل الطبيب مع مرضاه مع أساتذته وزملائه ومجتمعه الذي يعيش فيه الى جانب علمه ومعرفته وتطويرها ولا شك في أن السبب الذي يكمن خلف الاهتمام بآداب المهنة هو طبيعة مسؤولية الطبيب والتي تتعلق بصحة المريض ومرضه وبحياته وموته والى جانب علاقته بصحة المجتمع كله وتعكس هذه الأهمية الكتابات الكثيرة التي كتبها الرواد الاقدمون منذ الاف السنين وعبر العصور الى يومنا هذا من آداب مهنة الطبيب وأخلاقه وصفاته.

الحضارة اليونانيه واثرها في الاخلاقيات الطبية:[20]

لقد تركت الحضارة اليونانية أثرها الكبير على أسس ومبادئ الاخلاقيات الطبية في مجمل الحضارات التي عاصرتها أو جاءت بعدها ولقد تفاعل الفلاسفة المسلمون معها كثيراً.

[20]() موسى محمد يوسف/ تاريخ الاخلاق/ دار الكتاب العربي/ ط3/ 1953 مصر/ ص172

وفي تاريخ الاخلاقيات في هذه الحضارة يبرز اسم الطبيب الأوسع سمعه في العالم ابقراط (٤٦٠ – 370 ق.م) وقد لقب بـ (ابو الطب) ووضع ابقراط قسماً لا يزال يعمل به مع أن شعوب العالم قد اضافت له الا أنه لا يزال يسمى باسمه ويردد في نهاية دراسة الطب من قبل الأطباء الجدد.

فمن شروط تعلم المهنة وممارستها أن يقسم الطالب والممارس بقسم ابقراط (والذي اعاد تنظيمه الأطباء العرب والمسلمون):[21]

((إني أقسم بالله رب الحياة والموت واهب الصحة وخالق الشفاء وكل علاج ، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً ، وأشهدهم جميعاً على أني أفي بهذه اليمين وهذا الشرط ، وأرى أن المعلم لي لهذه الصنعة بمنزلة آبائي وأواسيه في معاشي ، وإذا احتاج الى مال واسيته وواصلته من مالي ، وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساوٍ لأخوتي وأعلمهم هذه الصناعة إن احتاجوا لتعلمها لا ابغي أجرة ولا شرط وأشرك أولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وحلفوا بالناموس الطبي والوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة وأما غير هؤلاء لا افعل بهم ذلك.

وأقصد بجميع التدابير بقدر طاقتي منفعة المرضى وأما الأشياء التي يضر بهم وتدني منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيي.

ولا أعطي إذا طلب مني دواء قتالًا ، ولا أشير بمثل هذه المشورة ، وكذلك لا أرى أن أدني من النسوة فزوجة تسقط الجنين، وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الزكاة والطهارة ولا أشق أيضاً عمن في مثانته حجاره لكن أترك ذلك الى من كانت حرفته في هذا العمل.

وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخلها لمنفعة المرضى وأنا بحال خارجة عن كل ظلم وجور وفساد إرادي مقصود إليه في سائر الأشياء وفي الجماع للنساء والرجال ، الأحرار منهم والعبيد ، وأما الأشياء التي أعانيها في أوقات علاج المرضى أو أسمعها في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس في الأشياء التي لا يُنطق بها خارجاً ، فأمسك نفسك عنها وأرى أنَّ أمثالها لا ينطق))

" فمن أكمل هذا اليمين ولم يفسد منها شيئاً فأن له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها ، وأن يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً ومن تجاوز ذلك كان يضره "

ويضع ابقراط في وصاياه نقاط عده يجب الأخذ بها:[22]

[21]() د. راجي عباس التكريتي/ السلوك المهني للاطباء/ دار التربية/ بغداد- العراق/ ص53

[22]() د. كمال السامرائي/ مختصر تاريخ الطب العربي/ دار الشؤون الثقافية والنشر/ بغداد/ العراق/ 1985/ج1/ ص104

١. يجب على من يريد الحصـــول على المعرفة التامة في العلوم الطبية أن يكون لديه الاســـتعداد التام لذلك وأن يلتحق بمعهد الطيب وأن يتعلم منذ حداثته وأن يكون له الميل للعمل وكذلك وقت كافي يضعه للدراسة.

٢. ينبغي ان يكون المتعلم للطب في جنســـه حراً وفي طبعه جيداً معتدل القامة - متناسب الاعضاء - حسن الحديث صحيح الرأي عند المشورة.

٣. إن يكون حسن المظهر والهندام ، ويكون حلق را سه معتدلاً مستوياً "لا يحلقه ولا يدعه كالجمة" ويقص أظافر يديه ولا يتركها تعلو على اطراف اصابعه.

٤. إن تكون ثيابة نقيه لدينه ولا يكون مستعجلاً لأن ذلك دليل على الطيش ولا متباطئاً لأن ذلك دليلاً على فتور النفس.

٥. وهذا الشكل والزي والمظهر الخارجي والترتيب عندي أفضل من غيره.

٦. ان يحافظ على سمعته وكرامته ويحسن التصرف كالرجل الشريف.

٧. عفيفاً شجاعاً غير محب للفوضى ، مالكاً لنفسه عند الغضب ، ولا يكون تاركا في الغاية ولا يكون بليداً.

٨. إن يكون صـبوراً رقيق الجانب هادئاً غير متهور في عمله ساكن غير حاد المزاج أو عبوس ولا يجب أن يكون كثير المرح وعدم الثرثرة.

٩. ينبغي ان يكون محتملاً للشتيمة، لأن قوما من المبتسمين.

١٠. إذا دعي الى مريض فليعقد متبرعاً ويختبر منه حالة ســـكونه وتأن لا بقلق واضطراب.

١١. ان يكون مشـــاركاً للعليل مشـــفقاً عليه ، حافظاً لا اســـراره لان كثير من المرض يخبرون الطيب بإمراضهم ولا يحبون أن يقف عليها غيرهم.

١٢. يجب على الطبيب ان يتحلى بخصال الفيلسوف الجيدة، ومنها انكار الذات والحماس والتواضـــع والمظهر المحترم والجدية والحكم الهادئ وهدوء الفكر والحزم والحياة الطاهرة وتجنب الاشياء الضارة.

١٣. الايمان والتعبد لله.

وجاليتوس (٢٠٠ ق.م)[23]: وهو من اشـــهر وأهم أطباء العصـــر اليوناني وله الأثر الكبير على العلوم الطبية في الحضـــارة العربية الاســـلامية ،ونظرية جاليتوس في المؤثرات على صـــحة الانســـان وخلقه تقوم على اســـاس الامزجه (فقد تبعه الرازي وغيره) الدم ، الصفراء ، السوداء ، البلغم.

[23]() ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء/ تحقيق: د. نزار رضا/ منشورات دار مكتبة الحياة/ بيروت/ ص127

وله كتابان في اخلاقيات الطب:

١. محنة الطبيب

٢. كيف تعرف أن الطبيب فلان فاضلاً

ويؤكد على أهمية الاخلاق في العمل الطبي وحث المريض على التأكد من اخلاق الطبيب والمامه بصنعته قبل استشارته .

الأخلاقيات الطبية في الحضارات العربية الاسلامية:

إن خلق الطبيب وسلوكه في مهنته تابع لأخلاقيات الاسلام وهي من الفرائض وعليه الالتزام بها في عمله مع المريض وزملائه ومساعديه مجتمعه.

فقد اعتمدت الاخلاقيات الطبية الاسلامية على مبدأ وضع الطب وسيلة لخدمة الانسان يبغى من خلالها رضا الله (سبحانه وتعالى).

والسؤال كيف يؤثر الدين الاسلامي في الطبيب:

١. كي ينظر الطبيب الى الحياة نظرة شموليه.

٢. لكي يهتدي بهدي الكتاب وسنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم).

٣. لكي يربط عمله وعلمه بخير الانسان.

٤. لكي يهذب نفسه ويربيها على مبادئ الفضيلة والشرف.

٥. لكي يجد في نفسه الدافع للتعلم والمثابرة والاتقان.

٦. لكي يتقي الله في عمله.

وقد ورد عن الامام الشاطبي:

إن الشريعة الاسلامية وضعت للمحافظة على الضروريات في (الدين، النفس، النسل (العرض)، المال، العقل) ثلاثة من هذه الضروريات تتصل بصحة الانسان وهي (النفس، النسل، العقل) وهي من عمل الطبيب.

وما نقل عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): " العلم علمان ، علم الاديان وعلم الابدان" ومن الفقه الاسلامي لم يخرج الفقيه عن الاطار العام للاخلاقيات الطبية وإنما امرها بالشريعة الاسلامية.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام)[24]: " لا يستغني أهل كل بلد عن ثلاث يفزع اليهم من امر دنياهم ، فقيه عالم ورع ، امير خير مطاع ، طبيب بصير ثقة"

ما ورد عن الاخلاقيات الطبية في عصر الحضارة العربية الاسلامية:

[24]() جعفر مرتضي العاملي/ الاداب الطبية في الاسلام/ جامعة المدرسين (قم) / ص87

أن مبادئ الاسلام العليا كما أمر بها سبحانه وتعالى وكما وردت في احاديث وسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) همه وكما وردت عن آل بيت والأصحاب المنتجبين (عليهم السلام) والتي ترفع القيم الاخلاقية الى مستوى عال من الانسانية بالرغبة في عمل الخير والاحسان في سبيل الله قد تركت آثارها الكبيرة على اخلاقيات مهنة الطب.

ولقد أفرد الأطباء العرب والمسلمون[25] في هذا العصر العديد من الكتب والرسائل فيما يخص اخلاق الطيب ، الا أن أبرزها واوسعها وأكثرها تركيزاً في صلب الموضوع هو كتاب "ادب الطبيب"[26] ، لإسحاق بن علي الرهاوي وهو طبيب مسيحي (من القرن التاسع) وسمي بالإنجاز الملكي للأعمال المبكرة المتعلقة بأدب الطبيب.

ولقد ذكر في مقدمة كتابه: (تكلفت جمع ما قدرت عليه من الآداب التي ينبغي للطبيب أن يؤدي نفسه بها ، والاخلاق المحمودة التي ينبغي أن يقوم بها طبعه محتسباً للثواب في ذلك واثقاً بمعونة الله وتأييده).

ومن فلسفة الرهاوي أن رعاية الطبيب لجسمه وحفظ صحته هي من الظواهر التي تدفع مرضاه الى العمل بوصاياه ويفرد الرهاوي بأن يورد فيه جدولاً لأعمال الطبيب اليومية والتي كان يمارسها وتتضمن- ابتداء اليوم بالصلاة إلى الله تعالى ، وفي هذا الكتاب ابواب عدة منها:

١. امانة الطبيب واعتقاده
٢. ما ينبغي للطيب أن يحذره
٣. وما يجب أن يوصي به خدم المريض
٤. ويوصي بأدب عواد المريض
٥. وأن الطبيب يجب أن يكون له التشريف حسب مرتبته من صناعة الطب من الناس كافة ولكن تشريفه من قبل الملوك والأفاضل يجب ان يكون أكثر.
٦. وفي شرف صناعة الطب
٧. وفي محنة الطبيب
٨. وفيما ينبغي للطبيب أان يذخره ويعده من وقت صحته لوقت مرضه
٩. وينصح ان يلتمس الطبيب رزقه من الاغنياء دون الفقراء مع عدم التفريق بالعناية وأن لا يشح بصناعته أن شح ذو اليسار بمالهم

[25]() علي بن رضوان المصري/ النافع في كيفية تعلم صناعة الطب/ تحقيق: د. كمال السامرائي / جامعة بغداد/ 1986

[26]() اسحق بن علي الرهاوي/ ادب الطبيب/ تحقيق: د. كمال السامرائي، د. سلمان داود / سلسلة خزائن التراث / بغداد/ 1992/ص107،37،11، 111، 113، 197

١٠. وأن لا يبذر ماله ولا لم يبخل وأن يذخر ما يكفيه عند الكبر ومن زمان شـــبابه الى زمان شيخوخته

١١. وهو يرى أن الطب أن اصـــلح صـــحة الناس فهو يفيدهم في الاقرار بتوحيد الله وعبادته وهو ما يهدف اليه الطبيب في عمله

وكذلك في مارد عن بعض الأطباء العرب والمســـلمين فيما يخص اخلاق المهنة وصفات الطبيب ، فقد اشترط الأطباء المسلمون شروطاً جسمانية وعقليه واخلاقية لطالب الطب وممارستها.

فقد جاء في كتاب ابن ابي اصـــيبعه المؤرخ الطبي الشـــهير أن الطبيب ابن رضـــوان المصري (ت460 هجري)[27] اشترط على الطبيب:

١. أن يكون تام ألخلق وجميع الاعضـــاء ، حســـن الذكاء جيد الرؤية ، عاقلاً ذكوراً وخير الطّباع
٢. أن يكون حسن الملبس ، طيب الرائحة ونظيف البدن ونظيف الثياب
٣. إن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشي من امراضهم
٤. إن تكون رغبته في شفاء المرضى أكثر من رغبته فيما يتلمسه من الاجر ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء.
٥. إن يكون حريصاً على التعليم ، ونفع الناس.
٦. إن يكون ســليم القلب ، عفيف النظر ، صــادق اللهجة ، لا يخطر بباله شــيء من امور النساء والاحوال التي يشاهدها في منازل الاغنياء ما فضلاً عن أن يتعرض الى شيء منها.
٧. إن يكون مأموناً ثقة على الارواح والاحوال ولا يصف دواء يسقط الأجنة
٨. يعالج عدوه بنية صـــادقه كما يعالج حبيبه وكذلك فأن من شـــروط تعلم المهنة وممارستها أن يقسم الطالب والممارس بقسم ابقراط الذي عدله الأطباء المسلمون.

وكذلك فقد اشترطت المدرسة المستنصرية لطلاب الطب تمام الخلقة والذكاء وحسن السيرة وانفردت بأن يكون مسلماً.[28]

واخلاقيات التعليم تلزم الطالب الادب اتجاه استاذه في مجلسه في الدرس وفي التصرف معه خارج ذلك وحتى بعد أن يصـــبح طبيباً ممارســـاً للمهنة وتشـــمل هذه الاخلاقيات معلم الطب أيضـــاً والذي اكثر الاحيان من افضـــل الاطباء علماً ، ولكون تعليم الطب مما يثاب

[27]() علي بن رضوان المصري/ النافع في كيفية صناعة الطب/ د. كمال السامرائي/ مطبعة جامعة بغداد 1986/ ص41

[28]() د. رضي جواد باقر/ الطب وتعليمه في عصر الحضارة العربية الاسلامية/ مجلة الحكمة/ دار الحكمة/ العدد38/ بغداد 2004

المرءُ عليه فقد كان اكثرهم يعلمون الطب احتســـاباً بل أن البعض منهم اوقف بيته ليكون مدرسة للطب بعد وفاته كالطبيب الشامي عبد الرحيم الدخوار (٤٦٤ هجري) .[29]

وهنا لنا وقفه قصيره ما دمنا نتكلم في تعليم الطب فأن مسألة شائكه كانت تواجه طلاب الطب الأ وهي درس التشريح.

ففي عصر الحضارة العربية الإسلامية وفي وقت كانت التيارات الفكرية الاسلامية قد وصلت مرحلة الصراعات لم يشأ الأطباء المسلمون ممارسة التشريح وهم المتلهفون للعلم وكانت هذه التفاتة ذكية منهم ربما لأبعاد هذه المســـألة لفترة من الزمن حتى لا تكون مادة للتحريم وتكون عقبه لمن يأتي بعدهم.

فقد اكتفى احدهم بتشـــريح القردة كما فعل ابن ماســـويه (ت٢٤٣ هجري)[30] والبعض الآخر اكتفى بملاحظته ما يظهر من خلال الجروح.

وقد درس عبد اللطيف البغدادي (625 هجري) العظام مما كشفت عنه مقبرة قديمة في احدى التلول قرب القاهرة.

الا أنه في اشـــارة لا تخلو من حكمة بين ابن رشـــد الحفيد (595 هجري) حين قال: (من اشـــتغل بعلم التشـــريح أزداد أيماناً بالله) ، وهو رأي يبرر فيه الجانب الاخلاقي العميق لممارسة التشريح وقد يكون قد مارسه خفية؟

العلاقة بين الطبيب والمريض:[31]

فيما يخص العلاقة بين الطبيب والمريض سـنورد بعض ما قاله الأطباء والفلاسـفة في ذلك العصر بهذا الخصوص:

١. يعقوب ابن اسحق الكندي:

ليتق الله تعالى المتطبب ولا يخاطر فليس عن الانفس عوض ، وكما يجب أن يقال أنه كان سبب عافية المريض وبرئه ، كذلك يحذر أن يقال أنه كان سبب تلفه وموته. وهي دعوة وتأكيد على التعامل بحيطه وعلميه وعدم التهور والاهمال في ممارسته حارته الطب

ابو بكر الرازي الطبيب (ت 313 هجري):[32]

لقد كان الخطاب الاخلاقي لدى الرازي تطبيقياً وليس نظرياً

[29] () د. أحمد عيسى/ تاريخ البيمارسانات في الاسلام/ دار الرائد العربي/ بيروت- لبنان/ ص39
[30] () ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء/ مصدر سبق ذكره / ص250
[31] () ابن ابي اصيبعة ص288، 420
[32] () ابي بكر محمد بن زكريا الرازي/ المنصوري في الطب/ تحقيق: د. حازم البكري المنظمة العربية للتربية والثقافة/ 1987/ الكويت ص253

"يصعب في الطب كثيراً الوصول إلى الحقيقة وفن الطب كما نجده في الكتب أقل شأناً من الخبرة العملية التي يحصل عليها طبيب مفكر وماهر"

وبهذا فهو يدعو الطبيب أن يمارس الطب ليكتسب الخبرة وهو أمر مهم في الطب الا وهو الاستمرار بالتعلم والتدريب ، وأيضاً للرازي مقوله في أدب الطبيب الذي يعالج المرض اصحاب الامراض المستعصية ، فهو يحث الطبيب ان يواسي ويشجع المريض حتى ولو كان مشرفاً على الموت لأن قوة الانسان مستمده من روحه المعنوية

" ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبداً بالصحة ويرجيه بها وأن كان غير واثق بذلك فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس".

وهو يطابق لما قاله ابن القيم في كتابه الطب النبوي: " وقد علم أن الارواح متى قويت ، قويت النفس والطبيعة وتعاوناً على رفع الداء وقهره" ، وهذا مستمد من الحديث النبوي الشريف: {إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ فَنَفِّسُوا لَهُ فِي أَجَلِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَهُوَ يُطَيِّبُ نَفْسَ الْمَرِيضِ}[33]. (ومقولات احرى: اذا ما عالجت مريضاً تبدأ بتقوية حيويته وحالته العقلية لانك ان فعلت ذلك سهل عليك ذلك) ، (اذا كان الطبيب عالماً والمريض مطيعاً فما اقل ما لبثت العلة)

وهذه المقولات تظهر أهمية الحالة النفسية في علاج الامراض حتى العضوية منها ، والثقة وطاعة المريض مهمة في العلاج وهي أساس العلاقة بين المريض والطبيب.

العلاقة بين الاطباء:

وهذه العلاقة أيضاً تم الاشارة اليها من قبل أطباء ذلك العصر واكدوا على أهميتها: وقد ورد عن اسحق بن سليمان (ت ٩٠٥ هجري): "إذا ما حل بزميل لك ضرر فلا تذكره بسوء فأن لكل امري ساعته، وليكن تفاؤلك وحسن خلقك راشدك الوحيد للرفعة والمجد ولا تحاول أن ترتفع بإذلال الغير".

- **وفي الاجور:**

فقد كان للأخلاق دورها في استيفاء الأجور مثلاً أن الطبيب القيرواني ابن الجزار (ت ٣٩٦ هجري) فقد كان لا يتقرب الى الامراء والاغنياء ويعالج الفقراء ويعطيهم الدواء مجاناً بل أنه كان يترفع عن أن يأخذ اجوره بيده ويترك الأمر لغلامه.

ومعالجة الفقراء مجاناً كانت من أفضل ما جاءت به الاخلاقيات الاسلامية وهو ما مارسه أكثر الأطباء وقد تجلى هذا الأمر في المستشفيات والتي كانت العناية فيها اقرب للخيال ويفوق أفضل ما موجود حالياً ومع هذا كانت مجاناً للأغنياء والفقراء.

- **كتمان السر:**[34]

[33]() الاداب الطبية في الاسلام/ مصدر سبق ذكره/ ص192

[34]() الشيخ حسين عادل محمد علي / ابن الجزار القيرواني/ مطبعة التعليم العالي في الموصل / ص11

وهذ امر لا يفرط به اخلاقياً ، وفي حادثة مشهورة عندما رفض ابن التلميذ وهو طبيب واديب مسيحي (466- 560 هجري) البوح باي سر لأمير السلاجقة محمد خوارزمشاه في حصاره لبغداد وهذا الامر رفع قدره عند هذ الامير.

وكان حنين بن اسحق العبادي (ت 260 هجري):[35] مثلاً عالياً يحتذى به لرفضه أن يحضر السم للخليفة المتوكل لقتل اعداءه وقد سجن وهدد بالقتل لرفضه.

- **الأمانة العلمية**:[36]

فليس كابن البيطار (ت 646 هجري) عالماً حريصاً على ان يرد كل رأي لصاحبه ويدوّن ملاحظاته وتجاربه بدقة وأمانة فائقة.

وما تركه الاطباء في ذلك العصر من حكم وامثال ومواقف أخلاقية الكثير جداً مما لا تسعه الكتب والمجلدات.

وقد يسأل سائل هل كان هناك متابعة للالتزام بالأخلاق الطبية من قبل ممن يمارسه ووجود ذوي النفوس الضعيفة وهو امر متوقع في كل عصر والذين يكون التزامهم بالأخلاق الحميدة ضعيف. والجواب: نعم

فقد كان هناك المحتسب[37]: والحسبة في بدايتها أمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران/ أية (104)]

وعن حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): {أيُّما طبيبٍ تَطبَّبَ على قَومٍ لا يُعرَفُ لهُ تَطَبُّبٌ قبلَ ذلكَ فأعْنَتَ فهوَ ضامِنٌ}.

وقد عمل به أول الأمر الخلفاء الراشدون أنفسهم ثم أوكلت بعدها للثقات من الناس ووظيفة المحتسب مراقبة الأطباء كغيرهم من اصحاب المهن والنظر في الشكاوي التي تقدم ضرهم ومعاقبة من تثبت إدانته على مخالفة الشرع والعرف.

اما رئاسة الأطباء فهي مرتبة علمية أيضاً لمراقبة الأطباء والزامهم بقواعد المهنة وآدابها وقد يمتحن رئيس الأطباء زملائه عند اقتضاء الحاجة.

ويتعهد رئيس الأطباء امام المحتسب أن لا يتساهل في شؤون الأطباء والزامهم بقواعد المهنة وآدابها وأن يأخذ عليهم عهد ابقراط .

[35]() الانباء في طبقات الاطباء/ مصدر سبق ذكره/ ص261

[36]() د. راجي عباس التكريتي/ابن البيطار واثره في الطب والصيدلة/ مركز التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد

[37]() د. حسين علي محفوظ/ دراسات في الحسبة والمحاسب عند العرب/ مركز التراث العربي / جامعة بغداد

الخاتمة

من المهم أن نذكر أنه ما بعد العصور الوسطى وعزل الكنيسة عن التدخل في الشؤون العامة وبعد أن تدهورت الحضارة العربية الاسلامية كانت هناك صفحة جديده والتي انطلقت في مسعى مادي بحت اضاعة القيم القديمة وما جاءت به من فلسفات أخلاقية لم تثبت أي منها نجاحها.

والفردية كانت هي الأساس في هذه الفلسفات وهي الطامة الكبرى للإنسانية والتي شجعت الانسان والدول للكسب وكان الطب من جملة ذلك في توجه المؤسسات العلمية في عملها.

ونحن الآن في مفترق طرق لخيارات متعددة ولكل أمة خياراتها وهي بالتأكيد حاصل تحصيل لمعتقداتها وثقافاتها وللتراث الاسلامي جذور ممتدة في عقولنا وافكارنا وافعالنا، فالعودة لاستجلاء هذا التراث قد يكون باباً لفتح مدارس فكرية وتطبيقيه تساعد في حل اشكالات الواقع الذي نعيشه وذلك من باب اكمال البحث العلمي باستيفاء كل المصادر وما اغنى وأجمل وأكمل ما تركه اجدادنا العظّام .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن أبي أصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.

٢. أبو بكر ذكري، تاريخ النظريات الأخلاقية وتطبيقاتها العملية دار الفكر العربي ١٩٦٥.

٣. اسحق بن علي الرهاوي ، كتاب أدب الطبيب سلسلة خزانة التراث بغداد ١٩٩٢.

٤. البهي محمد، الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٩٦٠.

٥. جعفر مرتضى العاملي ، الآداب الطبية في الإسلام، منشورات جامعة المدرسيين – قم، ايران ١٩٩٢.

٦. الحاج قاسم د. محمود السلوك الطبي الإسلامي منشورات الجمعية الطبية الإسلامية موصل العراق ٢٠٠٤.

٧. د. احمد عيسى، تاريخ البمارسانات في الإسلام دار الرائد العربي بيروت، لبنان.

٨. د. حسين محفوظ علي الفارابي في المراجع العربية دار الحرية للطباعة ١٩٧٥.

٩. د. حسين محفوظ علي دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب جامعة بغداد وزارة التعليم العالي.

١٠.د. راجي عباس التكريتي ، السلوك المهني للأطباء، دار التربية، بغداد العراق.

١١.د. راجي عباس التكريتي ابن البيطار وأثره في الطب والصيدلة الأمانة العلمية مركز أحياء التراث العلمي العربي جامعة بغداد ١٩٨٨.

١٢.د. رضي جواد باقر ، الطب تعليمه ومدارسه في عصر الحضارة العربية الإسلامية، مجلة الحكمة، دار الحكمة، العدد ٣٨ في ١٩٨٩.

١٣.د. رضي جواد باقر،الاخلاق، الطب في عصر الحضارة الاسلامية، مجلة واسط، جامعة واسط ، مجلد2 عدد3.

١٤.د. زهير احمد السباعي، د. محمد علي البار،الطبيب أدبه وفقه، دار القلم، دمشق.

١٥.د. كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي دائرة الشؤون الثقافية والنشر بغداد العراق 1985.

١٦.د. محمد علي البار، د. حسان شمي باشا، د. عدنان احمد البار، موسوعة اخلاقيات مهنه الطب ، جامعة الملك عبد العزيز، جده.

١٧.الرازي ابي بكر محمد بن زكريا المنصوري في الطب تحقيق د. حازم البكري المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٨٧ الكويت.

١٨. رجب منصور علي، تأملات في فلسفة الأخلاق المكتبة الانجلومصرية ١٩٦١.

١٩.شيخ الأرض تيسير المدخل إلى فلسفة ابن سيناء دار الأنواء بيروت ١٩٦٧.

٢٠.الشيخ حسين عادل محمد علي ابن الجزار القيرواني مركز أحياء التراث العلمي العربي بغداد ١٩٨٨.

٢١.صحيح مسلم، كتاب الفضائل دار ، أحياء التراث العربي ١٩٥٤.

٢٢.علي بن رضوان المصري، النافع في كيفية تعليم صناعة الطب مطبعة جامعة بغداد ١٩٨٧.

٢٣.محمد الغزالي، خلق المسلم دار الكتب الحديثة ١٩٦٢.

٢٤.مصباح مازن صباح ، يحيى نائل محمد ، مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات ، دامعة الازهر، مجلد 20 العدد الثامن يوليو 2011